الخصائص الدلالية للألوان في شعر الجواهري

أ.د شيماء محمد كاظم الزبيدي
قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الأنسانية/ جامعة بابل

hum.shaemaa.mohamed@uobabylon.edu.iq

الخـــــلاصة

يعدُّ اللون انعكاساً لما في الحياة البشرية من أسرار يمكن الأقتراب من فك رموزها عن طريق تفسير دلالاتها.

وقضية التفسير هذه نسبية تختلف من شخص إلى آخر على وفق ما يعكسه اللّون في نفس المتلقي وعلى وفق مطابقته لذائقته الشخصية فهو يتبع الأمزجة كما يتبع الوضع الأجتماعي الذي يحيا فيه الفرد، والألوان إنّما هي عنصر مهم لأضفاء صفة الجمال للأشياء، الأمر الذي يجلعها مقبولة للحياة وساكنيها.

إلاّ ان جميع هذه الألوان لها مداليل ربما تكون ظاهرة كمسمى بعينه، وأحياناً قد تكون متقنّعة وراء ألفاظ معينة شرطها أن تكون دالة عليها، الأمر الذي يعطي المتلقي مقدرة على استنباطها من أي سياق كان وعلى مستوياته الكتابية أم الشفاهية.

ووجدنا بأن الألوان إنما قد أخضعت فنوناً جعلتها تنضوي تحت إمارتها بل وتُعْرّفُ بها، ومنها المدارس التشكيلية وفنون الموسيقى وغيرها كثير.

زيادة على ذلك وجدنا أنّ هذه الألوان ربما تتداخل في دلالتها لتعطي المتلقي دلالة موحدة يستشفيها من السياق وعلى وفق ما يمليه عليه سياق البيت الشعري وربما على وفق ما يمارسه اللون في السياق من فعل إسقاطي علماً أنّ الألوان جميعها تنساق إلى سمات مميزة لا تخرج عن اطارها وان تعددت موجاتها اللونية وهي: الصبغة، شدة اللون، اللمعان.

الكلمات المفتاحية : اللون , خصائص , دلالة , شعر.

Semantic properties of colors in Al-Jawahiri's poetry

Prof. Dr. Shaima Muhammad Kazem Al-Zubaidi
Department of Arabic Language/ College of Education for the Humanities/ University of Babylon

hum.shaemaa.mohamed@uobabylon.edu.iq

Conclusion

Color is a reflection of the secrets in human life that can be decoded by interpreting their meanings.

This issue of interpretation is relative and varies from one person to another according to what the color reflects in the soul of the recipient and according to its conformity with his personal taste. It follows the moods as well as the social situation in which the individual lives. Colors are an important element for imparting the quality of beauty to things, which makes them acceptable to life and its inhabitants.

unless All of these colors have connotations that may be apparent, such as a specific name, and sometimes they may be hidden behind certain words, provided that they are indicative of them, which gives

the recipient the ability to deduce them from any context and on its written or oral levels.

We found that colors have subjugated the arts, making them fall under their authority and even be known by them, including plastic schools, music arts, and many others In addition, we found that these colors may overlap in their meaning to give the recipient a unified meaning that he can extract from the context and according to what the context of the poetic line dictates to him, and perhaps according to the projective action that the color performs in the context, noting that all colors are led to distinctive features that do not deviate from their framework, even if their color waves are multiple, which are: hue, color intensity, luminosity.

المقدمة

يعدُّ اللون انعكاساً لما في الحياة البشرية من أسرار يمكن الأقتراب من فك رموزها عن طريق تفسير دلالاتها.

وقضية التفسير هذه نسبية تختلف من شخص إلى آخر على وفق ما يعكسه اللّون في نفس المتلقي وعلى وفق مطابقته لذائقته الشخصية فهو يتبع الأمزجة كما يتبع الوضع الأجتماعي الذي يحيا فيه الفرد.

وقد جاء البحث على ثلاثة محاور هي:

- اللون لغة واصطلاحاً
- خصائص الألوان وتأثيراتها السايكولوجية
- دلالة اللون بين اللفظ والمعنى في شعر الجواهري.

أولاً: اللون/ لغة واصطلاحاً

فاللون لغة

هو " هيئة كالسواد والحمرة، ولونته فتلوّن"[1]. وتلوّن الشيء: صار ذا لونٍ، (...) ويُطلق على تغيير اسلوب الكلام إلى اسلوب آخر"[2].

و"لون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره"[3].

وأقدم من ذكر اللون في المعجمات العربية (الخليل بن احمد الفراهيدي) إلاّ انه لم يعط تعريفاً محدداً له[4].

ويعد "اللون تكيف ظاهر الأشياء في العين أو هو ما قيل الكيفية المدركة بالبصر من حمرة وصفرة وغير ذلك"[5].

فدلالة اللون متعددة منها ما يدل على الهيئة، وأخرى على التحول من اسلوب الى آخر، وآخرى على الكيفية وغيرها كثير وربما يقودنا هذا إلى أن نستشف دلالة أنَّ اللون دلالتين دلالة حقيقة وأخرى مجازية، مثل " تلون الأنسان وتقلبه في مواقفه و آرائه" [6] والتلوّن "اتخاذه لوناً غير اللون الذي كان له، وقد اطلق هذا على الأشياء المادية اولاً، ثم اطلق مجازاً فيما بعد"[(7)].

لذا فأن مفهومي اللون والتلوّن يدلان على نفس الدلالة في التحول واعطاء سمة معينة ينماز بها شيء عن آخر.

اما اللون اصطلاحاً

فهو " ذلك التأثير الفسيولوجي الخاص بوظائف أعضاء الجسم الناتج على شبكة العين، سواء كان ناتجاً عن المادة الصباغية الملوثة أو عن الضوء الملون، فهو اذن احساس وليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية"[(8)].

ويعد أيضاً " مظهر من مظاهر الواقعية في الصورة الشعرية"[9]، وعبارة عن " المزج الكوني بين الضوء والظل وهو هذا التدرج من الأبيض إلى الأسود أو إنّه على حد تعبير الفنانين التشكيليين خروج من الأسود وعودة اليه"[(10)].

وبالتالي فإن مصطلح (لون) قد اطلقه الفنانون التشكيليون والمشتغلون بالصباغة وعمال المطابع على المواد الصباغية التي يستعملونها لأنتاج التلوين.[(11)]

وهناك بعض الفنون قد اكتسبت تسميتها انطلاقاً من مفهوم (اللون) منها (علم الدلالة التشكيلي) الذي عرف من اللون، فهو يبحث عن المدلول في الرسم وخصائصه واضافته ونظمه أي القوانين المشتملة عليها اللوحة من انتظامها في الشكل العام. لذا فقد عرف علم الدلالة

التشكيلي على كونه توكيد المعنى للون من الشكل والمضمون بوصفهما يفصحان عن علم الدلالة.[12]

غير أن هناك من الباحثين والفنانين من نظر الى الألوان في حقل الرسم فوجدوا أنّ دائرة التعبير الفني اكثر شيوعاً وابداعاً من التعبير اللغوي الذي لا يمنحها الحرية. وربما الألوان نفسها لا تستطيع التعبير بحرية كما نجدها في الرسم[13]. وذلك لأن " الألوان تبقى بمنأ عن الوصف، مستعصية على كل تعريف، وعلى كل تحليل فهي خاصية قائمة بذاتها الألوان متباينة لا حصر لها، والنعوت اللونية غير محدودة"[14]

ثانياً/ خصائص الألوان السايكولوجية

تعد " أنظمة اللون تحولية، لا تخضع لمعايير ثابتة في المقياس التأثري والحركي، انما تعتمد على درجة حساسية اللون في ارتباطها بدرجة حساسية الحال"[15]، لذا فأن اللون " موضوع معقد، وهو جزء مهم من خبرتنا الأدراكية الطبيعية للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فقط، بل ويغير من مزاجنا واحاسيسنا ويؤثر في تفضيلاتنا وخبراتنا الجمالية، بشكل يكاد يفوق تأثير أب بعد آخر، يعتمد على حاسة البصر او أي حاسة أخرى".[16]

على الرغم من أن الألوان جميعها تشترك بخصائص ثلاث محددة لا يتخلى عنها أي لون من الألوان وهي: " الصبغة، ويقصد بها الخاصية اللونية التي تميز الأحمر من الأصفر، والأزرق من الأخضر .. وتقاس بطول الموجة. والثانية هي: الأشباع ويقصد بها مقدار شدة اللون (ازرق قائم مقابل ازرق رمادي مثلاً)،والثالثة هي النصوع أو اللمعان ويقصد بها درجة الجلاء أو كمية الضوء المنعكس من اللون"[17]. وقد " تنبه المهتمون بالدراسات الجمالية إلى الصفات النوعية للألوان وعنوا بملاحظة تأثيراتها النفسية، فثّمة ألوان ساطعة وحادّة مثل الأرجواني والبنفسجي، وألوان هادئة رقيقة مثل بعض الأصباغ الزرق الخفيفة، وأشاروا إِلى الترابط الدقيق بين الألوان والأحاسيس والذكريات"[18]، علماً أنّ العديد من النظريات التي أجريت فيما يخص رؤية الألوان قد أستنتج منها القدرة على تصنيف المخاريط الموجودة في شبكية عين الأنسان والمسؤولة عن رؤية الألوان وعددها حوالي سبعة ملايين إلى ثلاثة أصناف أساسية من حيث امتصاصها لأطول الموجات الضوئية، فالصنف الأول منها يكون حساساً بدرجة قصوى للضوء

الأزرق، والثاني منها حساس بدرجة قصوى للضوء الأخضر، والثالث حساساً بدرجة قصوى للضوء الأحمر[19].

وقد أنعكست مفاهيم الألوان في جوانبها السايكولوجية على اللغات، فهناك من يرى أنّ " لكل لغة من لغات العالم مجموعة من الألوان فمنهم من يحب اللون الأخضر لأرتباطه بفصل الربيع، ومنهم من يحب اللون الأزرق لارتباطه بزرقة السماء في يوم اقترن بيوم طيب، ومنهم من يكره اللون الأحمر لأنه مرتبط في ذهنهم بالخطر أو بالدواء"[20]. لذا فأن" ادراك اللون يشكل جانباً من سلوك الأنسان، وأن سلوك الأنسان يتحدد بثلاثة متغيرات، هي: البيئة أو العالم الخارجي (بما في ذلك المجتمع) والعالم الفسيولوجي الداخلي، والعالم السيكولوجي الداخلي، وبخاصة الأنفعالات وإنّ اللون له دلالة جمالية وغالباً ما يرتبط بالإحساس بالسرور أو بنقيضه. وجمالياً، يفضل معظم الناس ألواناً معينة على غيرها"[21]. على الرغم من " أن اللونين المفضلين جمالياً عبر معظم الحضارات هما: الأحمر والأزرق، وهنالك دليل ملموس يدعم هذا الأستنتاج هو أنّ معظم أعلام دول العالم لا تكاد تخلو من هذين اللونين أو من أحدهما".[22]

ويتبع اختلاف الناس في تفضيلهم الجمالي لصنف من الألوان سواء كانت حارة ساخنة من الأحمر والأصفر والبرتقالي، أم الوان باردة مثل الأزرق والأخضر أي علاقة اللون بنوع مزاجهم وسماتهم الشخصية وربما إلى نوع الحضارة والثقافة أو إلى الجنس بوصفهم اناثاً او ذكوراً.[23]

لذا فأن لكل لون (مداليل) معينة خاصة به وقلت (مداليل) لأن " اللون الواحد قدد يدل على الشيء أو صفة منه أو نقيضها".[24]

وهذا ينبع من التأثير الكبير الذي تمارسه الألوان في نفس الناظر اليها مثلما تؤثر الأنغام ووقعات الموسيقى في نفوس سامعيها فأحياناً تبعث الألوان السرور والإرتياح في النفس، وأحياناً اخرى تكون باعثاً على التقزز والنفور[25]، " فنغمة المزمار أو الكمان والأرغن تبعث السرور إلى السمع، كما تبعث السرور إلى البصر ألوان الزرقة والقرمزي والأصفر الداكن"[26].

وقد حدَّدَ الباحثون خصائص عدد من الألوان منها:

- **اللون الأحمر**

و" يعبر عن موضوع حياتي له أهمية خاصة، من قبيل مشكلة أو خطر (ملتهب) كما يعبر عن غضب شديد، أو رد فعل عنيف أو استجابة انفعالية قوية أو أنّه الحاجة الى الدفء"[27]، وربما يرتبط بالدم أحياناً وأحياناً بالحب وأحياناً أخرى بالحرب ويشار إلى أنّه عدواني أو لامع او لاذع.[28]

- **اللون البرتقالي**

وهو " تعبير عن الأنبساط والتبرير العاطفي، وهو استجابة انفعالية للعالم الخارجي أو الموقف الذي يثير الحيرة أو الصراع القائم بين الحياة والموت. وغالباً ما يعبر عن التناقض الوجداني في العواطف، أي حب شخص أو شيء وكرهه في الوقت نفسه"[29].

- **اللون الأصفر**

و" يعبر عن الفرح والسرور واهتمامات عقلية وفكرية، وميول صريحة غير متحفظة متسمة بوهم العظمة أو دالة عليه. وقد يعبر أيضاً عن القلق النفسي"[30]. وربما بضوء الشمس والصيف أو الموت والإضمحلال تارة وبالبهجة ومجالس الخمر وجمال المرأة تارة أخرى.[31]

- **اللون الأخضر**

هو " تعبير عن ترتيب أو تنظيم (وليس كبت) نزعات أو ميول مؤثرة، ويعبر عن توازن الشخصية وعن (أنا Ego) سليم نفسياً. كما ويعبر عن النمو والتجدد في الحياة، وكذلك السلام والأمن" [32]وربما " يظهر في تصوير الرياض والخمائل حيناً ووصف الكتائب المقاتلة احياناً اخرى"[33]، وربما يكون " هو اللون الوحيد الذي اتفق على دلالته المريحة للنفس الأنسانية".[34]

- **اللون الأزرق**

و" يعبر عن الأنفعالات الساكنة والمستقرة والهادئة والمسيطر عليها بشكل جيد"[35] واحياناً " يوحي بالأنطواء على النفس وبالرقة"[36]وقد صورت مريم العذراء (ع) وهي ترتدي رداء

ازرق في أغلب الأحيان وما ذلك إلاّ لأن دعة اللون الأزرق المهدئة تتوافق والهدوء والسكينة الداخليتين ويندر تصويرها برداء الأحمر الصارخ[37].

أما " الأزرق الشاحب البارد فقد يشير إلى الأنسحاب والتلاشي وبعد المسافة"[38].

- **اللون الأرجواني/ البنفسجي**

وهو " يعبر عن توحد شخصي بالشكل المرسوم إرجوانياً. ويعبر عن إثارة إنفعالية، وتمثل أو اندماج بالقلق والتوتر. ويبدو صاحبه جريئاً وقحاً، وفيه حاجة إلى السيطرة والأمتلاك"[39].

- **اللون البني أو الأسمر**

و " يعبر عن الشعور بالأمن ، والى التثبيت أو تركيز الرغبة في شيء معين، وبخاصة الرغبات الجنسية. كما يعبر عن التصلب أو التشدد ويشير كذلك إلى الشعور بالذنب أو الألتصاق بالطبيعة والكفاح من أجل تجاوز قوى تدميرية والرجوع إلى حالة صحية".[40]

- **اللون الأبيض**

و" يشير الى السلبية والفراغ، وكذلك تجريد الشخصية، التي تعني شعور الفرد بتغيير حصل في خصائص شخصيته كما يعهدها بنفسه في الأحوال الأعتيادية. كما يعبر عن فقدان الصلة بالواقع والرغبة في إخراج المشاعر أو طردها"[41]

- **اللون الرمادي**

و" يعبر عن الكتب والأنكار وعن تعادل انفعالي، ولا يعبر عن حالة إستغراق او إنهماك"[42]وهو يرتبط بالخريف أو الأكتئاب.[43]

- **اللون الأسود**

ويرتبط بالحزن ويعبر" عن الكآبة وعن الأفناء او الألغاء وعن تراكم المشاعر كما يعبر عن شعور الفرد بعدم الملاءمة، أو أنّه محاصر ويعبر ايضاً عن الأستخفاف بالنفس. كما إنه قد يرمز إلى شيء مجهول"[44]. اما اذا استعمل اللون الأسود للتضليل، فأنه يمكن أن يكون اسقاطاً للمخاوف والأفكار السوداء.[45]

ثالثاً: دلالة اللون بين اللفظ والمعنى في شعر الجواهري

إنَ" الوعي الشعري العربي يبدي إهتماماً فريداً باللون في عملية التشكيل لكن (...) لم يكن هذا الأهتمام منعزلاً عن الماهية الشعرية والمعنوية والجمالية للون" [46]والقصيدة الجيدة فنياً تتولد من " التداخل غير العادي بين صوت الكلمة ودلالتها اللونية ومساحة القصيدة هي مساحة اللوحة تكتمل وتستدير في المدى المقروء بمقياس اكتمالها واستدارتها في المدى المنظور، ومن هنا قالوا عن الشعر انه ضرب من التصوير او انه الرسم بالكلمات"[47]. وتكمن اهمية العلاقة بين اللون والكلمة في " أن يتمكن الشاعر من تفجير الإيحاءات الساكنة في الألوان، وأن ينسج من ظلال هذه الألوان اغنية رائعة".[48]

ولكن هل إنّ الشاعر كالرسام في قابليته على إثارة أعصاب المتلقي وعلى نحو مباشر على الرغم من قدرته على توظيف لونٍ بعينه في شعره؟

يرى د. عز الدين اسماعيل أنَّ الشاعر غير الرسام في القابلية ويعطينا مثالاً على هذا الأمر حول قابلية الرسام في التأثير على أعصاب المتلقي لفنه مباشرة من اللون الأحمر مثلاً وذلك لما في المادة ذات اللون الأحمر من قدرة على الأثارة ترجع إلى مدى كثافة اللون ودرجته وما إلى ذلك من خصائص ذاتية في اللون نفسه.[49]

علماً ان تأثير الفعل اللوني يسهم في إضفاء قدرات جديد من الأثارة ولا يكتفي بالأثارة فقط ويعمل على توسيع القابليات التشكيلية لهيكل النص خدمة للصورة الشعرية[50]، التي تكمن قوتها "في اثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية"[51]. وقد " تتباين الأستجابة بتباين نمط الفضاء المتخلف داخل كيان النص، الذي يؤلف فيه اللون لغته الخاصة، وهي تخاطب العواطف والنفس برمزية قديمة قدم الأنسان". [52]

أما الدلالة اللونية في المجتمع العراقي (بيئة الجواهري) فقد توصلت بعض الدراسات إلى تفضيل اللون الأزرق ثم الأحمر ثم الأخضر فيما اشارت دراسات أخرى إلى تفضيل اللون الأحمر أولاً يليه اللون الأزرق فالجوزي فالوردي ثم الأخضر.[53]

الا ان الميول اللونية في الشعر العراقي الحديث تتحرك"خارج الإيحاءات المألوفة (الشعبية) التي تستند على خبرات جمعية وموروثة وسطحية، ذات الأنعكاس السريع ورد الفعل الآني. بمعنى انها تتعرض لأنزياحات مفهومية في الشعر، وتصبح غيرها في المألوف الواقعي، لأنها تكتسب صفات ومعاني ومداليل جديدة، تتناسب مع الخواص الشعرية، وتتأكد بذلك استقلاليته وخصوصيتها"[54] ومن هذا المنطلق الأخير وجدنا في استقراءنا لشعر الجواهري نمطين من السياق اللوني لديه، الأول السياق اللفظي الذي تحققه الكلمات والآخر المعنوي الذي يوحي اليه الشاعر بصورة غير مباشرة مع وجود قرينة دالة على اللفظ اللوني.

وعلى الرغم من تعدد الألوان ودلالتها السايكولوجية إلاّ أننا أوردنا في حديثنا حول الجواهري على بعض الألوان الدالة في شعره ومنه يبرز اللون الأسود في شعره اذ يشغل حيزاً يهيمن على باقي الألوان في شعره وربما يعود هذا الى خاصية اللون الأسود كونه " اللون الواضح المبهم إنَّه ابو الألوان وسيدهم كما يُقال"[55]. وربما يعود إلى خاصية الدالة على الحزن والكآبة والنكبة ومن اللفظ الصريح الوارد في شعر الجواهري قوله[56]:

ومسهدٍ راع الظلام بخاطر لو كان بالجوزا حلّ نطاقها
ترنو له زُهرُ النجوم وانـها لو انصفته لسوّدت احداقها

ومنه قوله[57]: دلالة على الخوف

وتراجفت زُهُرُ النجوم لهولةٍ قاني الضفائر، اسود الجلبـاب

ومنه قوله دلالة على الهموم[58]:

يا نديمي ولا يخفك نديم أثقلته سـود الليالي فخفا

ومنه قوله دالة على الحزن والقتامة[59]:

يُخدّرُ الجوعى بها، والرُؤى سُودٍ ولَمْحُ النورِ إيهام

وربما "يأخذ اللون صفة ذهنية مرتبطة بعرف جمالي تقليدي غير مرئي عند الشاعر"[60]. بمعنى انه يأخذ صفة معنوية تستفاد من السياق مع وجود القرائن الدالة عليها. ومنه على سبيل المثال ذكر. (الغراب والبوم) وانتزاعه لصفة من صفاتهما قائلاً[61]:

فلقُ الإصباح غربيبُ ونعيق البوم تَشبيبُ

ويذكر الفحم دلالة على اللون الأسود فيه قائلاً [62]:

وعيونٌ "كفحمةِ الطرفاء" خافقاتٌ بنظرةٍ جوفاء

ومن الملاحظ أنّ الشاعر في ذكره (الغراب) مرة و(الفحم) مرة أخرى إنّما أراد الوصول إلى الدلالة المعبرة عن السواد وأما بأختياره (الغراب) مثلاً أراد أن يقول أن حديثهم قد استحال الى كذبٍ لا صدق فيه، ذلك لأن الغراب أسود وسواده يلائم حديثهم الكاذب وهو بهذا قد خلق صورة شعرية مشحونة بدلالات موحية أراد بها أن يلفت انتباه القارئ بمعونة القرائن الدالة على المعنى المقصود.

ونلاحظ أيضاً ان الشاعر قد وظف اللون الأسود مصاحباً لنقيضه اللون الأبيض وربما أراد بهذه الثنائيات الضدية أن يخلق لوحة يعمق بها صورة شعرية مميزة مثيرة لأحساس المتلقي وربما أنّه أراد أن "يؤسس لبعد ثالث كما في اللوحة التشكيلية"[63]. وهذا البعد يلعب "هنا دوراً متضاداً في تأسيس أركان الصورة الشعرية وتوسيع مديات دلالتها الموحية"[64]. وهذه الضديات يمكن توزيعها على محورين ظاهر وضمني، فمن الظاهر قوله[65]:

وأنصعت في سود الخطوب لئيمةً تُسدى طلائعُهُ يدُ بيضاءِ

ومن الضمني قوله[66]:

والصبحُ يصبغُ وجنةٌ مشبوبةٌ والليل يكحلُ مقلةً وطفاء

والشاعر في الشطر الأول لم يكتف بذكر لفظ الصبح الدالّ على البياض بل ذكر أحد الخصائص الثلاثة للألوان وهي (الصبغة) وأما ذكره (الليل) فقد أورد معه (الكحل) والمعروف بأن الكحل مادة سوداء تستعمل في تزيين العين.

والشاعر في هذه الثنائيات اللونية الضدية (السواد / البياض) إنّما أراد تعميق دلالة اللون الأسود برديفه اللون الأبيض داعماً له.

أما (اللون الأبيض) فلم يغفله الجواهري في شعره ومنه قوله[67]:

كأن الثلوج النازلات على الرّبى عمائم بيضٌ كوّرت فوق مفرقٍ

وكذا الحال مع (اللون الأخضر) الذي يحمل معنى الأمل والأرتباط بالحياة والأشجار والربيع والحقول وهي صفات يجسدها هذا اللون إلاَ أن شاعرنا فقد أعطاها بعداً دلالياً يشير به إلى وطنيته وحبه للعراق محققاً بذلك توظيفاً متمكناً لهذا اللون قائلاً[68]:

رأوا حسن العراق فأعجبتهم أباطح من، ربيع فيه، خُضْر

وقد جاء في شعره ما يدل على قوميته لا على وطنيته فحسب في توظيف اللون الأخضر ليضيف بعداً جمالياً على البلاد العربية كلها ومنه قوله في وصفه لمصر[69]:

يا سدرةً في المنتهى لم تعترف إلاّ الظلال الخضر والأفياءَ

أمّا اللون الأحمر فلم يغب عن ذهن الجواهري أبداً اذ رسمه تارةً دالاً على النفور والتأسَي وأخرى دالاً على القبول والتلذذ وتارة ثالثة على الفخر والجلال، ومما جاء في الدلالة الأولى قوله[70]:

وطفتُ بقبرك طوف الخيال بصومعةِ الملهم المبدع

كأن يداً من وراء الضريـ ـح حمراء "مبتور الأصبع"

أما الدلالة الثانية قوله[71]:

يا غادة "الجيكِ" ويا سحرَهُمْ أين أقتنصتِ كلّ هذا الجمالْ؟

من خُضرة المروج؟ من حُمرة الـ ورود؟ من نبعٍ بسفحِ الجبالْ؟

أما الدلالة الأخيرة فقد وردت في قوله[72]:

ويا أبن الكوفة الحمراء وشىً بها سمط اللآلئ والجمانا

وفي سبيل أن يكمل الجواهري لوحاته الشعرية بتفنانته اللونية فيها وما تحيل إليه من مداليل متعددة كشف لنا عن خصائص اللون الأصفر الذي وظّفه في شعره ليبين به صفة من صفاته الدالة عل النماء قائلاً[73]:

ترى الوَرْقة الصفراء تنمو على الحيا رُويَداً كما ينمو الرضيعُ على الدَرّ

أما اللون (الأسمر) فقد كان له رصيدّ في شعر الجواهري، وهو اللون الدال على سمرة الأدمة لدى العرب ذلك لأن (ألوان العرب السمرة والأدمة)[74] قائلاً في ذلك[75]:

والشمس تَلَفحُ سُمرةً عربيةٍ والنجم يُرقِص قامةً هيفاءَ

أما اللون (الأزرق) فقد كان له نصيبٌ في شعر الجواهري إذ أورده حين وصف وادي (كاليجولا) ويعد من سهول العالم الشهيرة بجمالها متغزلاً به وهو من مغاني سمرقند وأرباضها الفواحة[76] قائلاً فيها[77]:

كـــــاليجولا حيث السمـاءُ نجومُ

لازورديـــــةٌ حيـارى تحـوم

فاللازوردي هو معدن أزرق يشير الشاعر به على المنائر الزرق التي يتسرجها الوادي والمقامة على أطرافه، وقباب المساجد الصاعدة[78]. وفي شعر الجواهري صورة أخرى للدلالة اللونية وهو ما يسمى بالتنافر اللوني وهذه الدلالة ناتجة عن لعبة المشاعر المقصودة من توسيع الدوائر الأستبدالية للألوان والعبث بالعلاقات بينها[79] ومن ذلك قوله[80]:

ولّى شبابٌ فهل يعودُ ولاحَ شيبٌ فما يُريدُ؟

يُريد أنْ يُنقِصَ الليـالي مني ظلماً بما يزيد

يا ابيض الريش طِرْنَ منه غدفان ريش الجناحِ سُود

نرى ان الشاعر قد وظف دلالة (الشيب) الذي يُعد في "الثقافة الأنسانية نسقاً علامياً دالاً على تحوّل ما يطرأ على حياة الأنسان ومظهراً بارزاً يشي بعبور الانسان من مرحلة الحيوية وامتلاء الذات الى مرحلة يحس فيها بعقدة السلب وهاجس الغياب"[81]وتنافرها مع دلالة الشباب التي سخرها الشاعر في البيت الثالث على نحو لوني مستعبراً ما جاء في البيت الأول ليستكنه منه رسم هذه العلاقة الضدية الصراع القائم بين الشيب والشباب وهناك صور

للتنافر اللوني في شعر الجواهري التي ما تلبث ان تتضافر الألوان فيها حيناً وعلى نحو ضمني بقرينة دالة عليها منه قوله واصفاً والدته[82]:

ونوّرتِ الدروب لساكنيها وعُدت من "السواد" إلى ظـلام

فالنور هو الضياء الساطع بكلمة (نوّرت) في الشطر الأول متمثلاً بالوالدة الحنون، ثم يتنافر البياض مع السواد في الشطر الثاني بلفظة (سواد) وهو لفظ دالٌ على لون بعينه هو اللون الأسود الذي ارتسمت به حياته من بعدها ثم ما يلبث أنْ يتضافر اللون الأخير مع قرينه دالة عليه وهي لفظة (ظلام) التي تشير ضمناً إلى العتمة والسوداوية كناية عن القبر المظلم الذي أُحيلت اليه، بعدٍ سواد قلبها وحياتها نتيجة فقدانها لولدها جعفر الذي استشهد في معركة الجسر عام 1948.

مما سبق نرى أن الجواهري ما هو إلاّ شاعرٌ، " والمعروف أن الشاعر – كالطفل– يحب هذه الألوان والأشكال ويجب اللعب بها، غير انه ليس لعباً لمجرد اللعب، وإنما هو لعب تدفع اليه الحاجة الى استكشاف الصورة أولاً، ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانياً"[83]. وهذا يقودنا إلى القول أن " الشعر اذن ينبت ويترعرع في احضان الأشكال والألوان، سواء أكانت منظورة ام مستحضرة في الذهن"[84].

الخاتمة

في نهاية البحث نستدل على إنّ الألوان إنّما هي عنصر مهم لأضفاء صفة الجمال للأشياء، الأمر الذي يجلعها مقبولة للحياة وساكنيها.

إلاّ ان جميع هذه الألوان لها مداليل ربما تكون ظاهرة كمسمى بعينه، وأحياناً قد تكون متقنّعة وراء ألفاظ معينة شرطها أن تكون دالة عليها، الأمر الذي يعطي المتلقي مقدرة على استنباطها من أي سياق كان وعلى مستوياته الكتابية أم الشفاهية.

ووجدنا بأن الألوان إنما قد أخضعت فنوناً جعلتها تنضوي تحت إمارتها بل وتُعْرّفُ بها، ومنها المدارس التشكيلية وفنون الموسيقى وغيرها كثير.

زيادة على ذلك وجدنا أنّ هذه الألوان ربما تتداخل في دلالتها لتعطي المتلقي دلالة موحدة يستشفيها من السياق وعلى وفق ما يمليه عليه سياق البيت الشعري وربما على وفق ما يمارسه اللون في السياق من فعل إسقاطي علماً أنّ الألوان جميعها تنساق إلى سمات مميزة لا تخرج عن اطارها وان تعددت موجاتها اللونية وهي: الصبغة، شدة اللون، اللمعان.

الهوامش

[1]- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت : 393/13.

[2]- المعجم الوسيط، قام باخراجه: ابراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركية، ط2، 1972: 847/2.

[3]- جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن، دار المعارف، حيدر اباد، د.ط، 1932: 176/3.

[4]- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم، أ.د ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010 :60.

[5] - تاج العروس، الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، د.ت (مادة لون)..

[6]- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: 62.

[7]- م.ن: 61.

[8]- نظرية اللون، د. يحيى حمودة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1979 : 7.

[9]- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996: 193.

[10]- ثلاثيات نقدية، د. عبد العزيز المقالح، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2000: 189.

الخصائص الدلالية للألوان في شعر الجواهري

أ.د شيـــماء محـــمد كـــاظم الـــزبيدي

---

[11]- ينظر: جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: 64.
[12]- ينظر: الفن والأدب، د. ميشال عاصي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1970: 20 – 47.
[13]- ينظر: جمايات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: 66.
[14]- دلالة اللون في الفن العربي، عياض عبد الرحمن الدوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ط، د.ت: 33.
[15]- المتخيل الشعري اساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث، د. محمدد صابر عبيد، منشورات الأتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ط1، 2005: 162.
[16]- سايكولوجية ادراك اللون والشكل، قاسم حسن صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، د.ط، 1982: 5.
[17]- الأبداع وتذوق الجمال، أ.د قاسم حسين صالح، دار دجلة، عمان، ط1، 2008: 79.
[18]- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي: 193 – 194.
[19]- ينظر: الأبداع وتذوق الجمال: 79.
[20]- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم: 69.
[21]- الأبداع وتذوق الجمال: 80.
[22]- م.ن: 81
[23]- ينظر: م.ن : 81 - 82
[24]- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم : 70.
[25]- ينظر: م.ن: 70.
[26]- بحث في علم الجمال، جان برتليمي، دار النهضة، مصر، د.ط، 1970: 189.
[27]- الابداع وتذوق الجمال: 83.
[28]- ينظر: في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي: 194 – 195.
[29]- الابداع وتذوق الجمال: 83.
[30]- م.ن: 83.
[31]- ينظر: في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي: 194، 196.
[32]- الابداع وتذوق الجمال: 83.
[33]- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي: 196
[34]- التشكيل اللوني للطباعة، ادريس فرج الله، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، د.ط، د.ت : 36.
[35]- الابداع وتذوق الجمال: 84.
[36]- في النقد الجمالي رؤية الشعر الجاهلي: 194.
[37]- ينظر: فكرة الجمال، هيغل، تج: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1978 : 245.
[38]- الأبداع وتذوق الجمال: 84.
[39]- م.ن : 84
[40]- الأبداع وتذوق الجمال.
[41]- الابداع وتذوق الجمال:84.
[42]- م.ن :84.
[43]- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي:194
[44]- الأبداع وتذوق الجمال:84.
[45]- الأبداع في الفن، قاسم حسين صالح، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ط، 1988: 79.
[46]- جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال الجهاد، مركز دراسات لوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007: 291.
[47]- ثلاثيات نقددية: 188.
[48]- م.ن :191.
[49]- ينظر: التفسير النفسي للأدب، د. عز الدبن اسماعيل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، د.ت :49.

[50]- ينظر: المتخيل الشعري: 162.
[51]- الصورة الشعرية، س. دي لويس، تج: احمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد للنشر، بغداد، د.ط، 1982: 44.
[52]- نظرية اللون: 135.
[53]- ينظر الأبداع وتذوق الجمال: 80.
[54]- م.ن : 163.
[55]- ثلاثيات نقدية: 189.
[56]- ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة)، محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2001: 96/1.
[57]- ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة) : 928/6.
[58]- م.ن: 974/6.
[59]- م.ن : 977/6.
[60]- المتخيل الشعري: 169.
[61]- ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة): 1106/7.
[62]- م.ن: 1084/7.
[63]- سيكولوجيا الخطوط كيف تقرأ صورة، حسن سليمان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، س (175)، 1967: 6.
[64]- المتخيل الشعري: 167.
[65]- ديوان الجواهري، الأعمال الشعرية الكاملة: 6/ 943.
[66]- م.ن: 6/ 947.
[67]- م.ن : 1/ 127.
[68]- م.ن: 176/1.
[69]- ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة): 6/ 948.
[70]- م.ن: 73/ 491.
[71]- م.ن: 937/6.
[72]- م.ن:7/ 1049.
[73]- م.ن: 166/1.
[74]- ينظر:لسان العرب: 586/2.
[75]- ديوان الجواهري (الاعمال الشعرية الكاملة): 6/ 947.
[76]- ينظر: ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة):6/ 1111
[77]- م.ن: 1111/6.
[78]- ينظر:م.ن:6/ 1111.
[79]- ينظر: جمايات الاسلوب والمتلقي دراسة تطبيقية، أ.د. موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2008 ،20– 22.
[80]- ديوان الجواهري (الاعمال الشعرية الكاملة): 488/3.
[81]- جماليات التحليل الثقافي الجمالي نموذجاً، د.يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004 : 172.
[82]- ديوان الجواهري (الاعمال الشعرية الكاملة): 915/4.
[83]- التحليل النفسي للادب: 59.
[84]- م.ن: 59.

المصادر والمراجع

1- الأبداع في الفن، قاسم حسين صالح، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ط، 1988.
2- الأبداع وتذوق الجمال، أ.د قاسم حسين صالح، دار دجلة، عمان، ط1، 2008.
3- بحث في علم الجمال، جان برتليمي، دار النهضة، مصر، د.ط، 1970.
4- تاج العروس، الزبيدي، دار ليبيل للنشر والتوزيع، بنغازي، د.ط، د.ت (مادة لون).
5- التشكيل اللوني للطباعة، ادريس فرج الله، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، د.ط، د.ت.
6- التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين اسماعيل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط4، د.ت.
7- ثلاثيات نقدية، د. عبد العزيز المقالح، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2000.
8- جماليات الأسلوب والتلقي دراسة تطبيقية، أ.د.موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
9- جماليات التحليل الثقافي للشعر الجمالي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
10- جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم، أ.د. ابتسام مرهون الصفار، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
11- جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال الجهاد، د. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.

12- جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن، دار المعارف، حيدر آباد، د.ط، 1932 الجزء الثالث.
13 –دلالة اللون في الفن العربي، عياض عبد الرحمن الدوري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ط،د.ت.
14- ديوان الجواهري (الأعمال الشعرية الكاملة)، محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط2، 2011 الجزء الأول، الثالث، السادس، السابع.
15- سيكولوجيا ادراك اللون والشكل، قاسم حسن صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، د.ط، 1982.
16- سيكولوجيا الخطوط كيف تقرأ صورة، حسن سليمان، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، س (175)، 1967.
17- الصورة الشعرية، س. دي لويس، تج: احمد نصيف الجنابي وآخرون، دار الرشيد للنشر، بغداد، د.ط، 1982.
18- فكرة الجمال، هيغل، تج: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1978.
19- الفن والأدب، د. ميشال عاصي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1970.
20- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1996.
21- لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، الجزء الثاني، الثالث عشر.
22- المتخيل الشعري اساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث، د. محمد صابر عبيد، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد، ط1، 2005.
23- المعجم الوسيط، قام بأخراجه: ابراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركية، ط2، 1972، الجزء الثاني.
24- نظرية اللون، د. يحيى حمودة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1979.